

التفوق الاستراتيجي: دراسة سياسية مقارنة بين الدول المتفوقة استراتيجياً وابعاد تفوقها

ايناس ضياء مهدي و معتز عبد القادر محمد

قسم العلاقات الدولية والدبلوماسية، كلية القانون والعلاقات الدولية، جامعة جيهان- اربيل، كوردستان، العراق

المستخلص

يمثل موضوع التفوق الاستراتيجي احد المواضيع التي لاقت اهتمامها الواضح في الدراسات السياسية ، ولعل ذلك يعود الى اهميته في حياة الدول وخاصة تلك التي تحاول ان يبنى قوتها الفعلية في النظام الدولي والتي تحاول ان تحظى بمكانة بارزة في المجتمع الدولي وتسعى للوصول الى مستويات عليا من التأثير في القرار العالمي ، وهي تعلم ان ذلك لن يحدث الا اذا بلغت مستويات من القوة تؤهلها لان تحتل موقع استراتيجي في السياسة العالمية. صحيح ان العلاقات الدولية شهدت ولمدد مختلفة هيمنة قوة معينة على شؤون التفاعلات الدولية، ولكن تلك الحالة لم تدم طويلا، اذ كانت تلجأ دائما الى مسألة التفوق سبيلا لايجاد التكافؤ في طبيعة العلاقات فيما بينها، وهكذا استمرت هذه العملية في اطار الجدلية في امكانيات القوة الكامنة والشاملة لدى الدول التي تخوض غمار التنافس والتفوق الاستراتيجي في مختلف المجالات العسكرية والاستراتيجية. في ابعادها المختلفة سواء كانت محلية او اقليمية او دولية.

مفاتيح الكلمات: التفكير الاستراتيجي، الإدارة الاستراتيجية، التفوق الاستراتيجي، السياسة الدولية، العلاقات الدولية

1. المقدمة

ولتحقيق هذه الاهداف تم وضع الفرضية البحثية الآتية: "ان تزايد مستوى التفوق الاستراتيجي للدول يؤدي الى تزايد قوة الدولة في محيطها الاقليمي والدولي".
ولاختبار هذه الفرضية تم اعتماد المناهج الآتية:
1. المنهج التاريخي لوصف تاريخ الظاهرة وتاريخ الاهتمام الدولي بها.
2. المنهج الوصفي لوصف وتصنيف تعريفات الظاهرة.
3. المنهج التحليلي النظري لفهم مدخلات ومخرجات الظاهرة.
4. المنهج المقارن للوصول الى الية تمكين الدول من التفوق الاستراتيجي ومقارنة تفوق الدول مع بعضها.

مشكلة البحث

يهدف البحث الى حل المشكلة العلمية التي تحاول تصنيف ودراسة ابعاد التفوق الاستراتيجي للدول وميادين التفوق واستراتيجياته في ظل التحديات التي تواجهها الدول المتنافسة على التفوق الاستراتيجي. من خلال محاولة اثبات الفرضية العلمية (ان تزايد مستوى التفوق الاستراتيجي للدولة يؤدي الى تزايد قوة الدولة في محيطها الاقليمي والدولي).

تقسيمات البحث

وتم تقسيم البحث الى مبحثين وكما يلي:
يدرس المبحث الاول اصل الظاهرة ونشأتها وتطورها واعتمادها في الدراسات الدولية وكيفية الاخذ بها من قبل الدول كما ويتناول دراسة مفهوم التفوق الاستراتيجي عبر تصنيف المفاهيم التي طرحها الباحثون الى ثلاث مجاميع تعبر كل مجموعة منها عن وجهة

يخطى موضوع التفوق الاستراتيجي باهمية بالغة تعود الى عدة اعتبارات لعل في مقدمتها سعي الدول المتواصل للحصول على المكانة والهيبة الدولية ولاتمام سيطرتها وتفوقها في محيطها الاقليمي والدولي ولايثبات قدرات القيادة على صحة استراتيجياتها وفعاليتها المزمرة . وعليه فقد جاءت هذه الدراسة لتوضح الاهداف الآتية:
1. وضع تصنيفات محددة لتعريف التفوق الاستراتيجي بحسب رؤية الباحثين وتقسياتهم للتعريف الواردة.
2. الوقوف على اهم انواع التفوق الاستراتيجي ومحاولة فهم موقف الدول منه وايها اكثر تأثيرا.
3. تحديد اهم استراتيجيات الدول للوصول مع تحديد اهمية هذه الاستراتيجية لكل دولة من الدول .
4. تحديد مدى امكانية الباحثين في التوصل الى نظرية محددة وشبه ثابتة للتفوق الاستراتيجي.

مجلة جامعة جيهان- اربيل للعلوم الانسانية والاجتماعية

المجلد 3، العدد 2 (2019) .

أستلم البحث في 10 كانون الاول 2018؛ قُبل في 11 شباط 2019

ورقة بحث منتظمة: نُشرت في 10 كانون الأول 2019

البريد الإلكتروني للمؤلف inas.mahdi@cihanuniversity.edu.iq

DOI: 10.24086/cuejhss.v3n2y2019.pp42-48

حقوق الطبع والنشر © 2019 ايناس ضياء مهدي و معتز عبد القادر محمد. هذه مقالة الوصول اليها

مفتوح موزعة تحت رخصة المشاع الإبداعي النسبية - 4.0 CC BY-NC-ND

- ان لاتضمن ثورة الشعب على حكامه اية اضرار في بنى الدولة والتي هي في خدمة الشعب وليس في خدمة الحاكم.
- ان تحتسب الضرائب بعدالة وان يلتزم الافراد بتسديدها ايمانا بقدرة الدولة والحاكم على احداث التطور عن طريق استثمار اموال الضرائب والتي تمثل فائدة وليست عقابا.

ان هذه الافكار ومجملها اتت من فلاسفة ومفكري العلوم التطبيقية عدت النواة الاولى في تفسير الحاجة الطبيعية للتفوق الاستراتيجي والذي تطور مفهومه في كتابات ابن خلدون مؤسس فلسفة الانظمة السياسية الحديثة وخاصة بعد ان ربط تفوق سياسة الدولة بتفوق اقتصادها ، وبذلك اعتبر ابن خلدون من اوائل الكتاب الذين اعلنوا ان اقتصاد الدولة هو اساس تفوقها بعد الكتابات السابقة التي اعتبرت العدل والحق والمساواة الاجتماعية هي اساس التفوق ...وتعود هذه النظرة الواقعية الى دراسة ابن خلدون للتطوّر الاجتماعي محولا فهم وتفسير اسباب ارتفاع امم وانخفاض امم اخرى وان يرتب تلك التفاعلات القوانين الاجتماعية التي توصل اليها في كتاباته.

كما اتى الغرب بمفكرين ابدعوا في وصف التفوق الاستراتيجي و اضافوا الكثير الى الكتابات العالمية في هذا الميدان. وحاولوا وضع نظريات ومفاهيم اسهمت في تطور النظرية الحديثة للتفوق الاستراتيجي. وفي مقدمتهم الفيلسوف الالماني جورج وليام هيغل والذي تبني فلسفته ادولف هتلر فيما بعد والتي سميت عبادة الدولة. اذ اعتبر ان الدولة هي الحياة الاخلاقية ذات الوجود المطلق ، والفرد انما يستمد حقيقته من الدولة ، والدولة هي الفكرة المقدسة على الارض ولم تقم الدولة من اجل الافراد بل وجد الفرد من اجل الدولة وهذه هي الفلسفة التي تبناها الفكر النازي فيما بعد ويفهم من فلسفة هيغل ان الدولة التي تحاول ان تثبت تفوقها لاتربطها صلة الواجب بباقي الدول فهي ارفع من القانون الاخلاقي وعليه لاتعد الحرب شرا من الشرور ، كما ويعارض هيغل فكرة ايجاد عصبة دولية هدفها القضاء على الحروب بواسطة سلطة اسمى و ارفع من الدولة ويرى ان تفوق كل دولة كامن في قانونها الاعلى الخاص بها اذ بها نزاعات بين الاخلاقيات السياسية، ولذلك فان غاية التفوق الاستراتيجي لدى هيغل تبرر الحروب ترتكبا للدول داخل وخارج بيئتها الداخلية ويؤيد هيغل ان هناك دولا غير جديرة بالاحترام بحسب رايه ويرى ان بروسيا هي الامة الوحيدة التي تستحق التفوق (Takala, 2005).

لقد تغيرت مفاهيم ومؤشرات التفوق الاستراتيجي ليس بحسب رؤية مفكري الاستراتيجية فقط وانما ايضا بحسب المرحلة التاريخية التي مر بها التطور الانساني ايضا. مما دعا الى ضرورة وضع تصنيف مفاهيمي لمعنى التفوق الاستراتيجي يمكن توضيحه من خلال الفقرة الاتية.

2.2 التصنيف المفاهيمي للتفوق الاستراتيجي.

يعد مصطلح التفوق الاستراتيجي من المصطلحات الدارجة لدى باحثي العلوم السياسية والاستراتيجية، وخاصة في الدراسات التطبيقية لهذا الميدان وقد ورد استخدامه في الدراسات السياسية التي تؤكد على حقمية وجود هذا المتغير كأحد الاهداف الرئيسية للدول ذات تأثير البالغ في مسار العلاقات الدولية. تعددت تعريفات التفوق الاستراتيجي الا انها بشكل عام اتخذت منهجا محددا لوصفه خلال دراسة ابعاده واثاره على الدول والمنظمات الدولية. ولعل اهم الاتجاهات التي يمكن ان تصنف مفهوم التفوق الاستراتيجي هي الاتجاهات الاتية:

نظر مستقلة في فهم موضوع التفوق الاستراتيجي، اما المبحث الثاني فيدرس ابعاد التفوق الاستراتيجي باعتماد المتغير الجيوستراتيجي كمتغير مؤثر بصورة مباشرة في تحديد مدى قوة التفوق الاستراتيجي وتأثيره في بيئة الدولة، وذلك من خلال دراسة الابعاد الداخلية والاقليمية والدولية للتفوق الاستراتيجي.

2. الأصول النظرية للتفوق الاستراتيجي.

يتناول المبحث الاول دراسة الاصول النظرية للتفوق الاستراتيجي من خلال فقرتين تتعلق الفقرة الاولى بدراسة اصل التفوق الاستراتيجي ونشأته وتطوره ، في حين تتناول الفقرة الثانية دراسة التصنيف المفاهيمي للتفوق الاستراتيجي من خلال تقسيم التعاريف الواردة في التفوق الاستراتيجي الى ثلاث تصنيفات:

- التفوق الاستراتيجي كمرحلة عليا من مراحل تطور الدول.
- التفوق الاستراتيجي كغاية وهدف اعلى من مراحل تطور الدول.
- التطور الاستراتيجي كهدف للهيمنة والسيطرة العالمية.

2.1 الاصل والنشأة والتطور التاريخي.

يعد موضوع التفوق الاستراتيجي من المواضيع التي نالت اهميتها في النصف الثاني من القرن العشرين ، على الرغم من ان الظاهرة تعد من الظواهر الانسانية القديمة والتي وجدت مع وجود الانسان وظهور الحضارات الانسانية القديمة ومحاولتها تحقيق التفوق على الحضارات الانسانية الاخرى ، ويعد افلاطون من اوائل الكتاب الذين اشاروا الى غاية التفوق الاستراتيجي بصيغته العملية منذ فترات بعيدة اذ اشار في كتاب (الجمهورية)، والذي كتب في حوالي 380 قبل الميلاد عندما كتب افلاطون عن تفوق الامم والشعوب واقترح (الدولة المثالية) وهي بمفهوم الوقت الحاضر الدولة المتفوقة استراتيجيا واعتبر ان مثالية الدولة وتفوقها الحضاري هو انعكاس واضح لتمييز حاكم المدينة بالعدالة المطلقة . ويعتقد افلاطون ان الانسان يميل بطبعه الى التعدي اكثر من العدالة والدولة ينبغي ان تعلم الافراد حب العدالة لان الانسان لايقف حدود تطعله للتفوق حد معين وانما هو طموح مطلق وفطري للبشر، وعليه فكر افلاطون بتأسيس جمهورية مثالية تضمن له التفوق بتقديم الخير وتبعده عن الشرور (محمود، 1976)، وقد أكد في وقت لاحق ابو نصر محمد الفارابي هذه النظرية باعتبار ان تميز الحضارات وتفوقها هو ترجمة مباشرة لتفوق افرادها وعلى راسهم.

حاكمها وان سعي الدول الى تحقيق تفوقها هو سعي متوالي وطبيعي على مر الأعوام (نيوف، 2012) ، كما تبني ابن رشد والكندي ذات المفهوم في كتاباتها اللاحقة حول احقية الدول بتحقيق تميزها وعناصر التميز وقد اشترك الاثنان بوصف تلك العناصر بالاتي (نولان، 2013) :

حرص الامم على التعليم والذي بدونه ينتفي اهم شرط من شروط التفوق وذلك لا يكون الا من خلال سيطرة الفئة المتعلمة على شؤون الدولة وتهيئة اقتصاد الدولة في سبيل التعليم.

ان المدن والدول المثالية لاتسعى الى اقامة الغزوات والاعتداء على دول مجاورة لتثبيت تفوقها وانما تتميز بانظمة القانون والعدالة والتي تدفع الدول والامبراطوريات المجاورة للانضمام لها.

- ان التفوق لايتحقق الا من خلال ايمان الشعب بحكمة قيادته وقدرتها على ادارة شؤون البلاد على اكل وجه دون الحاجة الى الثورات والاحتجاجات.

جدول 1

يوضح الامبراطوريات في ظل تفوقها الاستراتيجي الارضي او في ذرى توسعها

ت	الدول المتفوقة استراتيجيا	المرحلة التاريخية	ذرى التفوق / كم مربع
1	الامبراطورية البريطانية	1920	23000000
2	الامبراطورية المغولية	1309	34000000
3	الامبراطورية الروسية	1905	24000000
4	الامبراطورية الاستعمارية الفرنسية الثانية	1920	23000000
5	سلالة المانشو كينغ الصينية	1800	15000000
6	الامبراطورية الاسبانية	1800	14000000
7	الخلافة الاموية	720	11000000
8	سلالة يواند في الصين	1320	11000000
9	الامبراطورية البرتغالية	1805	11000000
10	الخلافة العباسية	750	10400000
11	الامبراطورية الاخمينية فارس	480 ق.م	11000000
12	الامبراطورية الرومانية	117	8000000

المصدر: بريجنسكي، زينغوي. (2012). رؤية استراتيجية: اميركا وازمة السلطة العالمية، ترجمة فاضل جنكر، دار الكتاب العربي، بيروت.

2.2.1 التفوق الاستراتيجي كرحلة عليا من مراحل تطور الدول ونفوها.

اعتبر العديد من الباحثين ان اهم مفهوم للتفوق الاستراتيجي هو اعتباره مرحلة متقدمة من المراحل التي وصلت لها الدول في مجالات كثيرة ، في حين اعتبر باحثين اخرين ان التفوق الاستراتيجي كرحلة تطور عليا للدول للدول من الصعب ان تشمل عدة جوانب لان ظاهرة التكامل تعد ظاهرة مثالية بالنسبة للدول من الصعب ان تصل اليها ، ومثال ذلك يمكن اعتبار التفوق الاستراتيجي التكنولوجي لليابان هو مجال معين من مجالات التفوق وليس بالضرورة ان تتمتع الدول بالتفوق في كافة المجالات، كما يمكن ان يكون التفوق الاستراتيجي في مجال التنمية الاجتماعية وتحقيق معدلات عالية في التعليم والصحة دون يكون هناك نفس التفوق في الميدان العسكري كما هو حال الدولة الاسكندنافية وخاصة فنلندا التي حققت اعلى مستوى تعليمي كما اشارت اليه منظمة اليونسكو في العام 2016 (العودة، 2011)، كما يعد التفوق الاستراتيجي الاقتصادي للصين مرحلة متقدمة لسلسلة خطط استراتيجية مكنت الصين من الوصول لها. ويبقى التفوق العسكري التقليدي والنووي الذي تتمتع به الولايات المتحدة الاميركية، مترافقا مع تقدم سياسي وتقني اهم مجالات تطبيق هذه المفاهيم رغم ان هناك تعارضا واضحا بين القائلين بهذا المنهج اذ استطاعت الولايات المتحدة ان تثبت انها في قمة تفوقها الاستراتيجي العسكري الذي لايزال هو الاهم حتى الوقت الحالي وقد اثبتت ذلك خلال عدة تجارب ..ومن اهم الدراسات الاميركية في هذا الميدان دراسة كل من البروفيسور (جون ميرشايمر) والبروفيسور (ستيفن والت) في حقل التنظير في العلاقات الدولية ، اذ تبني الباحثان كما هو معروف الى المنظور الواقعي عموما والى تيار الواقعية الكلاسيكية الجديدة على اوجه الخصوص بشقها (الدفاعي الذي يمثله والت) و(الهجومي الذي يمثله ميرشايمر) والذي يعد أكثر التيارات النظرية نفوذا وتأثيرا في هذا الحقل المعرفي، اذ يتناقش الباحثان في هذه الدراسة مرحلة مهمة من التفوق الاستراتيجي من خلال مايسميانه (التوازن خارج المجال) اي خارج مجال القسم الغربي للعالم الذي يشهد صعودا لقوى كبرى اخرى منافسة للولايات المتحدة على مكانة الهيمنة الكونية، ومن خلال ذلك الطرح يتوضح ان هناك رغبة حقيقية في الابقاء على التفوق الاستراتيجي النوعي الذي تحظى به الولايات المتحدة والذي يعد نتيجة لمراحل متسلسلة اهلتها لان تكون الدولة العظمى الاولى في العالم، ومن بين اهم التعريفات

هذا التصنيف ، يعرف د.عبد القادر محمد فهمي التفوق الاستراتيجي بانه "مجل المراحل الفكرية التي طورتها العقيدة السياسية للدول لتنتج واقعا متقدما لدولة يفترض على الدول الاخرى الاعتراف به واحترامه" (فهمي، 2009)، كذلك يفهم (Perry, 1996 pp.78-79) التفوق الاستراتيجي بانه "سلسلة من التطورات التي تمر بها الدولة، والتي تستمر بالتطور في حين تبقى دول اخرى دون هذا المستوى مما يؤهلها لان تحتل مكانة متميزة بين الامم، وقد يصاحب هذا التطور مؤشرات كمية ورقمية تؤيد التفوق النوعي او قد يرافقها سلوك معين يفرض على الدول الاخرى القبول به. وهنا سيتداخل المفهوم مع مفهوم السيطرة على قرارات الدول الاخرى" (William, 1996).

2.2.2 التفوق الاستراتيجي غاية وهدف اعلى من اهداف الدول العظمى.

حدد بعض الكتاب ملامح التفوق الاستراتيجي للدول من خلال سعي الدول للحصول على مكاسب استراتيجية تسهم في وضع اضافات مهمة على ملامح تفوقها الاستراتيجي، ويقصد بهذا النوع من المكاسب نقاط القوة التي تؤهلها الى الارتقاء لسلم المتفوقين استراتيجيا، ومنها: الارض، الاقتصاد، الدعم الدولي، ولاتستثنى اي من الدول والامبراطوريات التي حققت تفوقا استراتيجيا على مر التاريخ هذه القاعدة. ويقترب بالتفوق الاستراتيجي المكاني لهذه الدول والامبراطوريات تفوقا في التسليح وتوفقا اقتصاديا يحدث نتيجة الاتساع المكاني وتنوع الموارد، ومن بين الباحثين البارزين لهذا التصنيف والمدافعين عنه د.احمد سمير عارف في كتابه العلاقة بين التقدم التكنولوجي والتفكير الاستراتيجي الاميركي ، اذ يبين ان "الحق الطبيعي للدول ان تسعى الى بناء تفوقها الخاص سواء كان ضمن مجال محدد او تفوقا استراتيجيا شاملا ، لانا يعد التفوق الاستراتيجي هو احد الاهداف العليا للاستراتيجيات الوطنية للدولة" (توفيق، 2003).

كما يؤكد دكتور جهاد عودة على اهمية التفوق الاستراتيجي للدول بقوله: ان الدول في سعيها لتحقيق تفوقها الاستراتيجي فانها تؤسس لقاعدة سياسية تجعل من التفوق الاستراتيجي هدف مستقبلي تسعى الاجيال السياسية المتعاقبة للحصول عليه كما وتسعى الحكومات المتعاقبة على تحقيقه والحفاظ على مكاسبه" (عارف، 2008)

2.2.3 التفوق الاستراتيجي هدف للهيمنة والسيطرة

ان هذا الخط في التصنيف قاد الى استحداث عدة نظريات للحرب .. وتفسر هذه النظريات بالرغبة الطبيعية للتفوق الدولي بالقيادة والزعامة في حين يفسرها تجار السلاح بانها نظريات اقتصادية صرفة تضمن لهم استمرار تدفق السلاح سواء الى الدول المهيمنة ام الى الدول المهيم عليها، ناهيك عن ان مناهي التفوق هي ليست دولية فقط وانما اقليمية ومحلية وهذا ضمان اقتصادي اكبر لتجار الحروب.

ان توالي ظهور النظريات ضمن هذا التصنيف ادى الى تطوير مفاهيم جديدة واغلبها تتعلق بنظريات الحروب، واهمها نظرية الحرب الحيوية وهي النظرية التي تفترض كما سبقت الاشارة ان السيطرة والتفوق الاستراتيجي في المجال الجوي (مسرحة العمليات) وان مفتاح النصر في اي معركة يكون بيد الطرف الذي ينفرد بميزة التفوق جوا.

ذلك ان التفوق في اسلحة الجو القتالية (الطائرات القاصفة والمقاتلة بعيدة المدى وقنابل الليزر والصواريخ الذكية) تكبد العدو خسائر فادحة بالنيل من اهدافه الحيوية داخل عمقه الاستراتيجي.

وتدمير قدراته الدفاعية والهجومية باشتباك امن ومن مسافات بعيدة قبل البدء

بالاشتباك الفعلي. (غودي والهامي، 2012).

ان هذه الاطارح النظرية ساهمت في تطوير فكر الحرب وتقوم على فهم التفوق الاستراتيجي في مجال الهيمنة على المجال الجوي والاعتماد على فكر الهيمنة العسكرية، وهذا ينسحب بدوره على فكر التفوق الاقتصادي والسياسي واتخاذ القرارات والتاثير عليها في المحافل الدولية.

3. ابعاد التفوق الاستراتيجي

يناقش المبحث الثاني من البحث ابعاد التفوق الاستراتيجي من خلال الاعتماد على المؤثر الجيوسراتيجي في تحديد مدى وقوة التفوق واذ ان الدول تختلف مديات تفوقها بحسب نوعية وحجم القوة التي تمتلكها ، وبشكل عام يمكن تحديد ثلاثة ابعاد رئيسية للتفوق الاستراتيجي تتمثل بالبعد الداخلي والبعد الاقليمي والبعد الدولي.. والتي سيتم مناقشتها واسراده الامثلة الموضوعية عليها ضمن فقرات هذا المبحث.

3.1 البعد الداخلي للتفوق الاستراتيجي

لا يمكن عزل التفوق الاستراتيجي للبيئة الداخلية عن احتمالات التاثير الاقليمي او الدولي، فالدولة المتفوقة في مجال معين من الممكن ان تنافس في ميدانها الاقليمي او الدولي، وذلك انطلاقاً من اهمية القوة الداخلية في حياة الدول ومنها تنتقل الى السياسة الخارجية. ويمكن ان نوضح الواجهة المؤثرة في التفوق الاستراتيجي للدول: (السيد حسين، 2009).

- التفوق الاستراتيجي لاحد القطاعات الداخلية كالزراعة والصناعة والخدمات وقد تنفرد دول وتتفوق بانتاج محصول استراتيجي كالرز او البن معين او صناعة معينة واحتلالها المكانة البارز في ميدان التاثير الاقتصادي كما هو حال انتاج السلع الالكترونية في اليابان، كما يبرز قطاع النفط في دول الخليج ويتفوق استراتيجيا على القطاعات الاخرى من حيث التاثير الداخلي.

- يتفوق احد الاحزاب السياسية استراتيجيا على الاحزاب الاخرى حيث يشمل تاثيره الشعبي وتاثيره في الاوساط السياسية حدا كبيرا كما هو حال الحزبين المتوالين على الحكم في الولايات المتحدة رغم انها دولة ديمقراطية وتسمح بالتعددية الحزبية والسياسية ، ولكن ذلك لا ينطبق على دول الحزب الواحد لان الدعم السياسي يكون في صالح الحزب وليس للتفوق الاستراتيجي مجال للحدوث في هذا الميدان.

- في الدول ذات الصراعات والنزاعات الداخلية، يحدث هناك تفوق لاحد المتنازعين لسبب او لآخر، كان يكون هناك تفوق استراتيجي عقائدي او تسليحي او بسبب الدعم الخارجي لاحد الاطراف على حساب طرف اخر وبسبب الحالة الاخيرة تقوم الاطراف الخارجية بدعم القوى المتنازعة التي تكون مجالا فعلا لتمرير السلاح المتبقي فضلا عن التصعيد المتعمد الذي يكون في صالح شركات السلاح المنتجة.

ان الدول في سعيها الى الحفاظ على تفوقها الاستراتيجي الداخلي فانها تهدف من خلال ذلك الى عدة اهداف لعل ابرزها التالي: (الجحيشي، 2013).

- الحفاظ على قوتها ضمن مجال بيئتها الداخلية ، ومحاولة الحكومة اثبات جدارتها واحقيتها بالسلطة من خلال التفوق كذلك فان تحقيق التفوق الاستراتيجي الداخلي والحفاظ عليه يعد من بين اولويات القيادة السياسية العاملة في ميدان معين، اضافة الى ارتباط التفوق الاستراتيجي الداخلي للدولة بالقدرة على اقامة توازنات داخلية تمكنها من فرض سيطرتها على القوى الداخلية الاخرى وخاصة المعارضة منها.

- يرتبط مفهوم التفوق الاستراتيجي الذي يتحقق داخليا بمفهوم الحفاظ على القوة

ومكاسبها الحقيقية ولعله يعد ابرز مناحي قوة الدولة استراتيجيا في داخل بيئتها .

- ان القوى المتفوقة استراتيجيا داخل الدولة توجي دائما بانها متفوقة اقليميا ودوليا كما يحدث لدى التفوق الاستراتيجي الذي حققته تركيا في عهد حكومة الرئيس رجب طيب اردوغان والتي اصبح لها مركزا اقليميا ودوليا مؤثرا.

ويمكن الاخذ بنظر الاعتبار النموذج التركي في التفوق الاستراتيجي على اطار مجال الدولة (البيئة الداخلية)، فتركيا اليوم التي تشهد نموها الاقتصادي هي ليست تركيا التسعينات او مطلع الالفية، وبالقائه نظرة سريعة على تسعينات القرن الماضي فتركيا اتسمت بالاتي: (عدي، 2015).

- سيطرة الانظمة العسكرية على الحكم ، فشكل الدولة المدنية يحكمها طابع عسكري وهو المسيطر على القرارات الاستراتيجية للدولة التركية.

- كثرة الانقلابات السياسية والحزبية منها، واختفاء احزاب واعادة ظهورها بتسميات جديدة ومبادئ جديدة ونفس القادة.

- الفقر الاقتصادي الذي عاشته الفئات المجتمعية في المجتمع التركي، مع قلة فرص فرص العمل وظهور البطالة بشكل واضح.

- ضعف الامن الداخلي وظهور الجريمة وضعف سيطرة الدولة على سلامة المواطنين داخل الدولة.

- ضعف الصناعة والاعتماد على القطاع الزراعي، ولا وجود للسياحة.

- ضعف الخدمات العامة وغلاء المعيشة وضعف التعليم بالمقارنة مع دول المنطقة.

ان واقع الحال التركي احتاج الى قيادة قادرة على السيطرة على شعب يعاني من المشاكل ويحتاج الى حل اكثر مما يحتاج الى تفوق استراتيجي في المجال الدولي والاقليمي ولان القيادات السياسية والادارية التركية ادركت ان التفوق الاستراتيجي الاقليمي او الدولي لا ياتي الا من بيئة داخلية قوية ..لذلك عمدت القيادة التركية الى الاهتمام اولا بالبيئة الداخلية وتعزيز مناحي القوة فيها ، ولان الاقتصاد عماد الدولة ولان الشعب المرفه اقتصاديا هو الشعب الوحيد القادر على دعم حكومته وقيادتها وان مفتاح التفوق الاستراتيجي التركي كان اقتصاديا بالدرجة الاولى وذلك من خلال النقاط الاتية: (المصدر نفسه).

- شرع وزير المالية (كمال درويش) عام 2001 وبعد العديد من الازمات الاقتصادية التي مرت بها تركيا في اعتماد العديد من الاصلاحات التي بدأت على الفور تؤتي ثمارها، حيث ارتفع الناتج المحلي الى 5.7٪ في عام 2002، وانخفض معدل التضخم من رقمين الى رقم واحد ، وارتفعت ثقة المستثمرين وانخفضت البطالة تدريجيا ، وفتحت تركيا اسواقها بشكل متدرج، من خلال القيام بالعديد من التدابير التي تمثلت بالحد من القيود الحكومية على التجارة الخارجية والاستثمار وخصخصة الصناعات المملوكة للقطاع العام ، وتحرير العديد من القطاعات ومشاركتها مع القطاع الخاص المحلي والاجنبي بالرغم من الجدل السياسي الذي كان دائرا بشأن ذلك في ذلك الوقت.

- تعزيز القدرة التنافسية والتوظيف :وصلت تركيا الى وضع متميز كدولة ذات دخل متوسط اعلى في تصنيفات القدرة التنافسية العالمية حيث تحتل المرتبة الخامسة والاربعين في مؤشر التنافسية العالمية للمنتدى الاقتصادي العالمي 2015.2016 وتاتي في المرتبة (55) في التصنيف العالمي لممارسة أنشطة الاعمال للبنك الدولي، في حين كان ترتيبها في مؤشر التنافسية العالمية في عام 2002، رقم (61).

- واجهت الحكومة التركية مشكلة وضع اسواق العمل وحاولت خلق فرص العمل ، ووضعت الحد الأدنى للاجور بشكل مرتفع جدا لدرجة الاعلى بين دول منظمة

التعاون والتنمية (العودة، مصدر سبق ذكره).

- وكذلك فان تركيا لديها نظام ومكافأة سخية جدا ولذلك نجد في الاجل المتوسط هو تعزيز مشاركة الشباب والنساء في القوى العاملة ولذلك وضعت الحكومة في قمة اولوياتها خلق فرص العمل في خطة التنمية الوطنية العاشرة وقد وافقت في اوائل العام 2017 على استراتيجية التوظيف الوطنية.

- بحلول عام 2007 تحول الاقتصاد التركي من سيطرة الانشطة الزراعية التقليدية في المناطق الريفية الى مجتمعات صناعية ديناميكية للغاية ومنتشرة في المدن الكبرى قطاع خدمات متقدم ،حتى اصبح القطاع الزراعي يمثل 11.9٪ من الناتج المحلي في حين ان القطاعات الصناعية تمثل 23.7٪ والخدمية تمثل 64.5٪ كما شهد القطاع السياحة نمواً بحيث اصبح هناك عام 2015 48 مليون زائر لتركيا، وساهموا بعائدات تخطت 28 مليار دولار . ومن خلال ذلك يمكن مقارنة جميع الاصلاحات المذكورة بالفترة التيبرزت بها تركيا كدولة متفوقة استراتيجيا في مجالها الحيوي الاقليمي والاعتماد على فكرة التفوق الاستراتيجي داخليا.

3.2 البعد الاقليمي للتفوق الاستراتيجي

تمثل البيئة الاقليمية المجال الاول لحركة الدولة .وهي بذلك تسعى الى التأثير القوي على مجالها البيئي الاقليمي،فقد لا تكفي دول كثيرة بتفوق استراتيجي داخلي ،ولما تسعى للحصول على المكانة والهيبة بين الامم لفرض سيطرتها على ارادة الدول الاقليمية الاخرى وهي في سعيها الى اثبات تفوقها. الاستراتيجي الاقليمي فانها تكون قد وضعت في اعتباراتها الحسابات الاتية:

- الدخول في شراكات عسكرية واقتصادية وسياسية وهي بذلك تحاول اثبات تفوقها الاقليمي للسيطرة على هذه الشراكة.

- التنافس الاقتصادي بعيد المدى حيث تحاول من خلال سياستها الاقتصادية فرض نظامها الاقتصادي والسيطرة على السوق الاقليمية وهو ما بدأت به الصين وتحولت الى الاقتصاد العالمي عن طريق هذه الخطوة.

- الرغبة بفرض السيطرة المكانية على اراضي اقليمية جديدة الامر الذي يبرز اهمية التفوق الاستراتيجي العسكري في هذا المجال والذي يتعدى الى القوة النووية وتجربتها في السيطرة على اراضي اقليمية مجاورة.

وفي ضوء الافتراضات النظرية السابقة يمكن طرح المثال الاسرائيلي كاحد النماذج التطبيقية لدراسة حالة التفوق الاستراتيجي الاقليمي من خلال السيطرة العسكرية وتحقيق التفوق العسكري والنووي في هذا المجال ،اذ نشر موقع (ديفنس ابيديت) العسكري على الانترنت تحقيقا عن قيام كل من سوريا وايران وحزب الله وحاس بتبني مفهوم الحرب والهيمنة والتسلح بأسلحة مناسبة لها لمعادلة ميزة التفوق الجوي ودقة التصويب التي تتمتع بها إسرائيل. (تيرزي، 2011).

واستند التحقيق الى خلاصة جلسة نقاش عقدت في اطار مؤتمر لاتيرن الدولي حول الحرب البرية وهي جلسة قام بها القائد الاسرائيلي غريشون هاكوهين بتقديم عرض تفصيلي لتطور الجيوش والقوات غير النظامية العربية الى تشكيلات شبه غير نظامية متحدية بذلك السيطرة الاسرائيلية على ساحات المعارك من خلال اللجوء الى مفاهيم حرية هيمنية ويمكن استخلاص ماتوصل اليه التقرير بخصوص التفوق الاستراتيجي الاسرائيلي وقتا لا لاتي: (البديوي، 2000).

- في عام 1991 بدأ الجيش السوري بناء قوة عسكرية غير نظامية ولازال ذلك

قائماً حتى اليوم،فعوضاً عن تحديث مركباتها المدرعة وطائراتها المقاتلة وسفنها الحربية سمح الجيش السوري بعمليات تعزيز ضخمة جداً على طول الخطوط الحدودية، حيث قام بتوسيع افواجه المقاتلة المفردة بكمية كبيرة من الصواريخ المضادة للدبابات وانخرطت سوريا بشكل مكثف بشراء صواريخ متوسطة المدى وصواريخ بالستية بالإضافة الى التقنيات المطلوبة لتعزيز وانتج مثل تلك الاسلحة.

- حدث تغيير مشابه في ايران ،حيث تركزت اغلبيه الاستثمارات العسكرية على تطوير ونشر الصواريخ بالستية وصواريخ المهام الخاصة بالإضافة الى المنظومات البحرية المسلحة ذات السرعة العالية وكذلك بهدف الهيمنة الاقليمية على الخليج العربي.

- في ضوء ذلك نصح التقرير الاسرائيليين الذين بنوا قواتهم لهزيمة الجيش السوري والتفوق عليه ،الا انه يجب ان يكونوا مستعدين لخوض حرب محتملة على جبهتي كل من سوريا ومصر وهي الحالة التي حدثت فعلاً ثلاث مرات 1948، 1967 و1973.

- قامت ايران بتنفيذ توسعاتها في جنوب لبنان من خلال وكيلها هناك حزب الله ،وقد قام بتطوير قواته على اساس كونها وحدات قتالية منفصلة ولكل واحدة منها تركز في موقع معين ومجهزة بالعتاد والاسلحة والامدادات والتحصينات القادرة على العمل باستمرار لعدة ايام بشكل مستقل عن وسائل الاتصالات وخطوط الامداد وحتى القيادة والتحكم ، وتلك القوات قد تم نشرها لاحتواء اي مناورات برية اسرائيلية ،وهو الامر الذي يتناقض مع نظرية التفوق الاستراتيجي العسكري الاسرائيلي. وعليه فان اسرائيل وموجب تقارير خبراءها العسكريين فانهم يؤكدون على اهمية التفوق الاستراتيجي من خلال التركيز على التسليح والاستمرار به ، مع الاستقرار بالتجارب النووية وتسريب المعلومات المضللة عنها كنوع من تحقيق الهيبة الاقليمية والاستمرار بوحى تفوقها الاقليمي.

3.3 البعد الدولي للتفوق الاستراتيجي

نظمت العديد من الدول خططها واستراتيجياتها العالمية لتصبح الدولة الاولى المتفوقة استراتيجيا وبالرغم من انه مجال حيوي للدولة وحركتها في ميدان دبلوماسيتها الخارجية الا انها تسعى من خلال ذلك الى تحقيق المكاسب الاتية:

ان التفوق ليس لمن يملك الهجوم وحده ، وانما التفوق لمن يملك الهجوم والدفاع معا (حمدان 1983) ولا تجرؤ الدول التي تملك السلاح النووي في الدخول في مواجهات مباشرة قد تؤدي الى الاستخدام الفعلي للسلاح النووي ،وهو الامر الذي يمثل فناء البشرية على الكرة الارضية لذلك انطلق سباق التسليح في مجال السلاح النووي في ابتكار وتطوير الاسلحة النووية ذات القوة التدميرية المحدودة والمحسوبة والتي تقتل ولا تلتو البيئة بشكل واسع المجال. لكن هذه التكنولوجيا المتقدمة في التسليح لا تتوفر الا في الدول المتقدمة تكنولوجيا والتي لديها القدرة على الاستمرار في التطور والتحديث بشكل مستمر وهي الدول التي تتميز باقتصادات علمية قوية ومعدلات نمو مطردة اما الدول التي قد تفلح في امتلاك رؤوس نووية التي يمكن ان تهدد وتردع بها دولاً اخرى كما تفعل ايران وكوريا الشمالية فهي بذلك تستغل ظروفها دولية واقليمية وليس لها القدرة على الاستمرار والتطوير والتحديث فانها تمثل تهديداً آمناً للوضع الاقليمي والدولي وليس تفوقاً استراتيجياً دولياً.

اما حول اهم مؤشرات التفوق الاستراتيجي الدولي فيمكن ان تندرج كالآتي:

- يعد مؤشر السلاح النووي اهم مؤشرات الاستراتيجية على وجود التفوق ، ورغم ان الاتحاد السوفيتي السابق وروسيا الحالية تخفي مخزوناً عظيماً من هذا السلاح الا

ان القدرة والقوة لاتزال في صالح الولايات المتحدة الاميركية، اما اذا اجتمعت ترسانات دول الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا واسرائيل فان لها التفوق الفعلي على مجمل دول العالم .

- اصبح المؤشر التعليمي (العلمي والتكنولوجي) كأحد اهم مؤشرات التفوق الاستراتيجي وذلك بسبب ارتباط هذا المؤشر بالمؤشر الاول وقد تمسك الاتحاد السوفيتي السابق في فترة الحرب بهذا المؤشر لابل واعطاه اهمية كبيرة من خلال برامج الابحاث الاستراتيجية التي قامت بها المؤسسات العلمية السوفيتية وبما خصصته حكومة الاتحاد السوفيتي من مبالغ ضخمة لانجاح هذه المشاريع وهذا مادفع ادارة رونالد ريغان عام 1981 اطلاق مبادرة الدفاع الاستراتيجي (حرب النجوم) تحت شعار (امريكا تعود) ، وذلك باقناع المجتمع الدولي بان الاتحاد السوفيتي ببقوته التكنولوجية المتقدمة يمثل قوة توسعية عدوانية ينبغي التعامل معها بوسائل المواجهة وطبقا لمؤشرات اعلنها البنتاغون اصبحت مرحلة منتصف الثمانيات في القرن الماضي ان "التفوق الاستراتيجي السوفيتي سببه تقدم علمي وتكنولوجي متزايد مكن الروس من تطوير صواريخ استراتيجية ذات انظمة توجيه متقدمة لها القدرة على تدمير كل صواريخ الولايات المتحدة العابرة للقارات في مواقعها في منطقة السهول العظمى". بما يكون له دوافع على النظام الاقليمي الغربي والنظام الدولي المفروض على العالم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وفي 23 اذار 1983 اعلن الرئيس ريغان مشروعه العسكري الجديد والمسمى مبادرة الدفاع الاستراتيجي والذي تقوم فكرته على محاولة استخدام اشعة الليزر كسلاح مضاد للصواريخ النووية بسبب ان اشعة الليزر لها القدرة على الانتشار في الفضاء بدون انكسار او تشتت لذلك فان الافكار التي تركز عليها عسكرة الفضاء تدور حول استغلال خواص الليزر بتوجيه تلك الاشعة القاتلة نحو الصواريخ العابرة للقارات لتعطيلها او تفجيرها وهي في طريقها للفضاء لمنعها من مواصلة مسارها في اصابة اهدافها بالاسلحة النووية. (ستيرز، 1999)

غير ان فكرة مشروع مبادرة الدفاع تعود الى العالم الفيزيائي النووي الاميركي ادوارد تايلور مدير معهد بحوث لورنس ليفر مور في سان فرانسيسكو عام 1976 عندما تقدم بفكرة مشروع ابحاث لاقامة خط ماجينو الفضائي لاجباط هجمات الصواريخ السوفيتية حاملة الرؤوس النووية لو اطلقت على الولايات المتحدة قبل ان تصل اهدافها. وقد تم تطبيق المشروع وفقا للخطة الاستراتيجية الاميركية في تلك المرحلة. وتم اعتبارها بانها نموذج للتفوق الاستراتيجي المرحلي الذي عاشته الولايات المتحدة في تلك الفترة والذي كان نتاج استمرار للتفوق العالمي الذي مازالت تحضى حتى وقتنا الحاضر.

4. الخاتمة.

من خلال البحث تم التوصل الى مجموعة من الاستنتاجات العلمية يمكن توضيحها من خلال النقاط الاتية:

أ. يعد التفوق الاستراتيجي من الظواهر القديمة التي عرفها التاريخ البشري منذ المراحل الاولى لنشأة الحضارات الانسانية، الا ان التعريف العلمي لاصل الظاهرة ونشأتها وتطورها يعود الى كتاب الفكرين في حقل العلوم السياسية الذين وضعوا اعاد ومعال الظاهرة بصورة منهجية واضحة.

ب. يمكن تقسيم مفاهيم التفوق الاستراتيجي الى ثلاث تصنيفات اساسية اعتمادا على التعاريف العلمية التي طرحها الباحثون في ميدان العلوم السياسية وهي:

التصنيف الاول: التفوق الاستراتيجي كمرحلة عليا من مراحل تطور الدول وموفاها. التصنيف الثاني: التفوق الاستراتيجي كغاية وهدف اعلى من اهداف الدول العظمى.

التصنيف الثالث: التفوق الاستراتيجي كأحد مؤشرات الهيمنة الدولية.

ج. ينقسم التفوق الاستراتيجي الى عدة انواع وفقا لاعتبارين اساسيين:

الاعتبار الاول: التأثير الجيوسراتيجي للتفوق الاستراتيجي وابعاده وعليه يمكن تقسيم التفوق الاستراتيجي الى ثلاث ابعاد تتمثل في البعد الداخلي، البعد الاقليمي والبعد الدولي ومدى تأثير الدولة في مجالها الحيوي الاستراتيجي.

الاعتبار الثاني : فيتعلق بدراسة نوع القوة التي تفوقت الدولة بها ومدى تأثيرها في واقعها السياسي، وتنقسم الى:

- القوة السياسية والتأثير على القرار السياسي في المحافل والمنظمات الدولية

- القوة العلمية وابعادها التكنولوجية وتأثيرها المتزايد.

- التأثير الاقتصادي والقدرة على توجيه حركة الاقتصاد العالمي

- القوة العسكرية ومقدار الهيمنة على مصادر التسليح واتجاهه والتحكم به.

واخيرا ومن خلال المراحل البحثية السابقة يمكن التوصل الى اثبات فرضية البحث المطروحة في مقدمته والقائلة "بان تزايد مستوى التفوق الاستراتيجي للدول يؤدي الى تزايد قوة الدولة في محيطها الاقليمي والدولي".

5. المصادر والمراجع

- البديوي، عادل. (2000). الادراك الاستراتيجي للولايات المتحدة (دراسة في المبادئ الجيوبولتيكية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
- برجنسكي، زيغنيو. (2012). رؤية استراتيجية: أمريكا وأزمة السلطة العالمية، ترجمة فاضل جنكر، دار الكتاب العربي، بيروت.
- توفيق، عبد الرحمن. (2003). التفكير الاستراتيجي (المهارات والممارسات)، مكتبة نطوان، بيروت.
- تيرتري، برونو. (2011)، السلاح النووي بين الردع والخطر، ترجمة عبد الهادي الادريسي، ط1، هيئة أبو ثبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، الامارات.
- المحبيشي، فراس محمد احمد. (2013). التوازنات الاستراتيجية الجديدة في ضوء بيئة امنية متغيرة، جامعة عين شمس، مصر.
- حمدان، جمال. (1983). استراتيجية الاستعمار والتحرير، دار الشروق، القاهرة.
- ستيرز، بول. (1999). عسكرة الفضاء بين (1945-1984)، ترجمة علي موسى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
- السيد حسين، عدنان. (2009). "التوسع الأطلسي"، سلسلة قضايا دولية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت.
- عارف، احمد سمير. (2008)، العلاقة بين التقدم التكنولوجي والتفكير الاستراتيجي الأميركي، المكتب العربي للمعارف: القاهرة.
- عدي، عبد المنعم. (2015). القرار الاستراتيجي في ضوء المتغيرات الدولية، المؤسسة الدولية للنشر، بيروت.
- العودة، حماد. (2011). القوى الدولية غير النمطية في العلاقات الدولية في القرن الواحد والعشرين، مكتبة مديولي، القاهرة.
- غودي، ميشال والهامي، قيس. (2012). الاستشراف الاستراتيجي (المشاكل والمناهج)، المعهد الأوروبي للاستشراف الإقليمي، باريس.
- فهيم، عبد القادر محمد. (2009). الفكر الاستراتيجي للولايات المتحدة، دار الشروق للنشر والتوزيع.
- محمود، زكي نجيب. (1976). محاورات افلاطون، مكتبة طريق العلم، القاهرة.
- نولان، بيتر. (2013). طرق متقاطعة، ترجمة بسام صفدي، البار العربية للنشر، بيروت.
- نيوف، صلاح. (2012). مدخل الى الفكر الاستراتيجية، الاكاديمية العربية في الدنمارك، كوبنهاغن.

Takala, Tuomo. (2005). Charismatic Leadership and Power, Problems and Perspectives in Management, JPMNT

Perry, William J. (1991). "defense storm & deterrence", foreign affairs.